الشيعة

والحكم في العراق

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين(١).

الحضارة الإنسانية

قال الله تعالى: ((ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون))(٢).

خلق الله الإنسان من التراب، وقد أودع سبحانه فيه كمالات تؤهله لكي يبني حضارة إنسانية تحتضن جميع أفراد البشر، كما أنه سبحانه وتعالى علّمه طرق الخير بما فيها بناء نفسه، وبناء مجتمع يقود أفراده نحو الله تعالى، لتنشر العدالة في ربوعه، ويعيش ذلك الإنسان كما أراد الله تعالى.

إلا أن الإنسان وبما تنطوي عليه نفسه من طموح وهوى لا حدود لهما، أخذ يسير بعكس ما أُريد له، فأخذ يتفنن في الظلم وفي سحق كرامة الآخرين. ومنطلقاً من مقدمات خاطئة لا تقربه إلى الله، بل تبعده عنه وتوسع الهوّة بينه وبين الله عز وجل.

من هنا أخذ التاريخ يسجل لنا ظهور طغاة وجبابرة وظالمين على مسرح الحياة، هذا من جهة، ومن جهة اخرى ـ وطبقاً للموازين الكونية ـ كان في قبالهم من يؤمن بالله عز وجل ويسعى لحفظ البشرية وحماية كيانها الهام، والدفاع عن المظلومين. فبرزت إلى الواقع الخارجي صورتان، صورة الباطل والظلم، وصورة الحق والعدل.

وبحثنا هنا، يدور حول بقعة من بقاع الأرض التي اختارها الله محطة لبعض أنبيائه ورسله (عليهم السلام)، وهي أرض العراق. وليس بحثنا استقراءً تاريخياً، وإنما نحن بصدد تسليط الأضواء على مسألة الحكم في هذه الدولة، أي عن الراعي والرعية، عن القيادة والأمة، عن شكلها ودافعها.

وبما أن أغلبية الشعب العراقي هم من الشيعة فرأينا أن نتكلم عن الشيعة والتشيع(٣).

١ـ ألقيت بتاريخ: ١٦ ربيع الأول ١٤٠٧هـ.

٢ـ سورة يونس: ١٤.

٣ـ حسب إحصائية أجراها السيد محمد الصدر إبان رئاسته لمجلس الوزراء في العراق عام (١٩٤٨م/١٣٦٧هـ) وهي أن نسبة الشيعة في العراق هي ٨٠%.

الشيعة في اللغة

يطلق لفظ الشيعة حسب اللغة: الفرقة، أو كل قوم يجتمعون على أمر، ويكوّنون كتلة واحدة ويداً قوية، وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، فلفظ الشيعة بحسب اللغة غير مخصوص بفرقة دون أخرى، بل يشمل كل فرقة أجمعت على شيء(١).

غير أن هذه اللفظة خرجت عن هذا العموم، وغلبت على كل من تمسك بالإمام أمير المؤمنين أو أهل بيته (عليهم السلام) معتقداً إمامتهم وخلافتهم الحقيقية لرسول الله (صلى الله عليه وآله)(٢)؛ ثم من بعد هذه الغلبة صارت اسماً خاصاً يطلق عليهم دون سواهم.

أصل الشيعة

يزعم بعض الكتّاب بأن أصل التشيع نبع من بلاد فارس(٣)، وهذا القول يخالف الواقع، كما أن التاريخ يفنده(٤)؛ إذ ليس يستند على دليل قوي الحجة، وإنما يتمسكون بأدلة واهية وضعيفة، معتقدين بأن التشيع نشأ من موالاة بعض الفرس للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في أغلب حروبه (عليه السلام) زمن خلافته(٥)، وهذا الادعاء تكذّبه الحقائق أيضاً؛ لوجود الملوك والحكام غير الشرعيين من أمثال بني أمية وبني العباس ومن سار على طريقهم، وذلك ليبعدوا الناس عن أهل البيت (عليهم السلام)، أصحاب الحق الشرعي في الدين والدنيا والخلافة.

وهناك أدلة كثيرة وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله) تصرح بلفظ الشيعة، مما يدل على كون لفظ الشيعة من الألفاظ القديمة التي استعملها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فيمن يتبع أمير المؤمنين (عليه السلام) وآله الطاهرين (عليهم السلام) مذعنين أنهم الخلفاء الحقيقيين له (صلى الله عليه وآله).

١ـ الشيعة: قوم يتشيعون، أي: يهوون أهواء قوم ويتابعونهم، وأصنافهم: شيع، راجع كتاب العين: ج٢ ص ١٩١ مادة (شيع).

٢ـ وذلك بالنصوص القرآنية الشريفة والأحاديث النبوية والأدلة العقلية، أنظر الكافي: ج١ ص١٦٨ كتاب الحجة.

٣ـ أمثال أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) والمستشرق بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب)، والمستشرق دوزي عن تاريخ المذاهب الإسلامية وغير هؤلاء وهو رأي يدعمه ويقول به المستشرقون المسيحيين ولأسباب لا تخفى على المطلع.

٤ـ راجع في ذلك (الملل والنحل) للشهرستاني، و (فرق الشيعة) للنوبختي، و (حياة محمد) وفيه يقول محمد بن عبد الله عنان: من الخطأ أن يقال أن الشيعة إنما ظهروا لأول مرة عند انشقاق الخوراج، بل كان بدء الشيعة وظهورهم في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) حين أمر بإنذار عشيرته بآية: ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) سورة الشعراء: ٢١٤.

٥ـ أمثال النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) وابن النديم في كتابه (الفهرست).

فعن ابن عباس قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن قول الله عز وجل: ((والسّابقون السّابقون، أولئك المقرّبون، في جنّات النّعيم))(١)؟ فقال: «قال لي جبرئيل (عليه السلام): ذاك علي وشيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامته لهم»(٢).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «قال سلمان الفارسي (رحمه الله): كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أقبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له: ألا أبشرك يا علي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله جل جلاله أنه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال.. »(٣) الحديث.

إذن تسمية أنصار الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته (عليهم السلام) بالشيعة وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل خلافة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)(٤).

فمهما حاول بعض مزوري الحقائق إرجاع الشيعة إلى فئة أو جهة أخرى فالحقيقة تبقى كما هي، فهي الفرقة المحقة السائرة على درب الإسلام والتعاليم المحمدية السمحاء، لا يستطيع إخفاء وستر هذه الحقيقة الواضحة زمرة من المغرضين وأصحاب الدنيا. كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون))(٥).

إن المتفحص لأقوال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الباحث عن الحقيقة يجد أن التشيع هو الإسلام الذي أمر به الله عز وجل، حيث اكمل دينه بولاية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين أنزل: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا))(٦) في حجة الوداع عند غدير خم(٧). فقد ولد التشيع في اليوم الأول لهتاف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في شعاب مكة وجبالها بكلمة «لا إله إلا الله»، والنصوص كثيرة على ذلك(٨).

فالشيعة نشأت في زمن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأطلق الرسول الأعظم هذا الاسم على محبي وأتباع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في حياته، والنصوص كثيرة ومتواترة في ذلك، وقد نقلها أهل العامة أيضاً(٩)، وهذه الروايات تبطل جميع الادعاءات القائلة بخلاف ذلك.

١ـ سورة الواقعة: ١٠-١٢.

٢ـ بشارة المصطفى: ص٨٩.

٣ـ الأمالي للشيخ الصدوق (رحمه الله): ص٣٣٦ المجلس ٥٤ ح١٥.

٤ـ أي الخلافة الظاهرية بعد مقتل عثمان بن عفان.

٥ـ سورة التوبة: ٣٢.

٦ـ سورة المائدة: ٣.

٧ـ راجع حديث الولاية، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كنت مولاه فهذا علي مولاه.. ». في كتب المسلمين كافة من العامة والخاصة حيث بلغ حد التواتر.

٨ـ مثل حديث الدار حين نزل قوله تعالى: ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) (سورة الشعراء: ٢١٤)، وحديث المنزلة وغيرها كثيرة.

٩ـ قال الشيخ محمد حسين المظفر في كتابه (تاريخ الشيعة: ص٤-٥ ط النجف): جاء في كتاب الصواعق لابن

ظهور التشيع في العراق

إن زمن التشيع في العراق يعود إلى ما قبل عودة الخلافة الظاهرية(١) للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بسنوات عديدة، أي في زمن عمر بن الخطاب، فقد انتشر التشيع بصورة واضحة في هذه الفترة، وذلك عندما رجعت جيوش المسلمين إلى بلدانها، سكن الكثير من هذه الجيوش في الكوفة والبصرة بعد رحيل الفرس عنها، وبما أنه لم تكن هناك ضغوطات سياسية وإعلانات معادية للإمام (عليه السلام) فقد أتاح ذلك الفرصة لهم في التعرف على أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعرفة حقه وفضله عند الله عز وجل وعند نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله)، فهناك أخذوا في إرساء قواعد التشيع في العراق.

ولكن كان الأمر الأهم والأمر الأساسي في انتشار التشيع هو ما حدث في زمن خلافة الإمام (عليه السلام) عند إرجاع حقه المغصوب وتوليه (عليه السلام) أمور المسلمين حين اتخذ الكوفة عاصمة له، وهذا ساعد كثيراً على انتشار التشيع في الكوفة، وفي العراق من بعد.

مر التشيع بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بفترات مختلفة ـ صعوبة وسهولة ـ فتارة كانت عصيبة جداً على جميع المنتمين إلى هذا المذهب ـ مذهب مشايعة أهل البيت (عليهم السلام) ـ، وتارة كانت هذه الحدة خفيفة، حيث كان بعض الحكام لا يظهرون عداءً شديداً لأهل البيت (عليهم السلام) ـ بسبب ضعفهم ـ وكان أحسن فترات التشيع هو عند استلام بعض الشيعة مقاليد الأمور في العراق حيث الحريات الواسعة ورفع الضغوط عنهم.

فنستطيع أن نقسّم الفترات التي مرت على الشيعة في العراق إلى ثلاث فترات:

أولاً: الفترة الصعبة، وهي التي كان الأمويون والعباسيون حكامه فيها.

ثانياً: فترة شبه السهولة، حيث كانت معاملة الحكّام ليناً مع الشيعة لا طيباً منهم للشيعة بل للضعف الذي في الحكام، وإلا فكانوا يعاملون نفس المعاملة التي عاملوهم بها الحكام الأول.

ويتمثل في هذه الفترة ثلاث أدوار:

حجر: ص١٥٤ الفصل الأول في الآيات الواردة عقيب الآية الثامنة التي أوردها في فضل أهل البيت وهي قوله تعالى: ((وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)).

وقال السيوطي في (الدر المنثور: ج٦ ص٣٧٩ تفسير سورة الزلزلة) أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبل علي (عليه السلام) فقال النبي: »والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة«. ونزلت: ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)) فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أقبل علي (عليه السلام) قالوا: جاء خير البرية.

وأخرج الطبراني عن علي (عليه السلام) أن خليل (صلى الله عليه وآله) قال: »يا علي، إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين، ثم جمع على يده يريهم الأقماح«.

١ـ فإن الإمام علي (عليه السلام) هو الخليفة الحقيقي والواقعي وكذلك هم الأئمة من ولده (صلوات الله عليهم أجمعين) وإن استلم الحكم ظاهراً هذا وذاك من المخالفين.

١: وقت انتقال الحكم من الأمويين إلى العبّاسيين حيث اتيحت الفرصة للإمام الصادق (عليه السلام) العمل الإسلامي(١).

٢: فترة المأمون حيث نصب الإمام (عليه السلام) ولياً للعهد.

٣: فترة (المنتصر لدين الله)، ولكن بما أنها كانت فترات قصيرة لم نبحث عنها إلا في طي البحث عن الفترتين.

ثالثاً: فترة السهولة الكاملة، وفيها كانت مقاليد الحكم بيد الشيعة.

وسنتطرق إن شاء الله بإيجاز إلى تلك الفترات.

الفترة الأولى

الأمويين والعباسيين

لقد مرّ التشيع بعد شهادة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بفترة عسيرة جداً، وذلك أيام حكم معاوية بن أبي سفيان، حيث وصل الحال فيها إلى محاولات اجتثاث التشيع، وذلك بقتل جميع من ينتسب إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أو يواليه أو يتبع طريقته. وبما أن حكم معاوية يتركز في الشام، فقد أرسل إلى العراق ـ وخصوصاً الكوفة لأنها كانت مركز التشيع في ذلك الوقت ـ بعض الحكام الظلمة مثل زياد بين أبيه والمغيرة بن شعبة، وأمثالهما، فساسوا أهل العراق بالظلم، وقتلوا عدداً كبيراً من الشيعة في العراق(٢).

وكاد معاوية يقضي على الشيعة في العراق، لولا فطنة وذكاء أهل البيت (عليهم السلام) حيث أوحوا إلى شيعتهم باستخدام أسلوب التقية في العمل(٣). وفي هذه الفترة أصبح الشيعي محل اضطهاد من قبل أغلب حكام

١ـ أي فترة اضمحلال الحكم الأموي وبدايات نشوء الحكم العباسي الذي كان يرفع لواء الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

٢ـ مثل حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وميثم التمار (رضوان الله عليهم) والحضرميين مسلم بن زيمر وعبد الله بن نجي، وكثير غيرهم من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، وكان أمر معاوية إلى ولاته هو: قتل كل من كان على دين علي ورأيه. أنظر كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص٣٢١.

٣ـ قال سماحة الإمام (قده) في كتاب (الشيعة والتشيع ص٧٠ ط١): نعتقد بـ (التقية) في مواردها الشرعية، فإن التقية بمعناها الصحيح من تعاليم الإسلام، ومعناها وجوب حفظ الإنسان لنفسه وماله وعرضه ولنفوس سائر المسلمين وأموالهم وأعراضهم من الكفار والظالمين وقد أمر بذلك القرآن الحكيم والرسول العظيم والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) ففي القرآن الحكيم قال تعالى: ((لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ إلا أن تتّقوا منهم تقاةً ويحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير)) (سورة آل عمران: ٢٨)، وقال سبحانه: ((وما جعل عليكم في الدين من حرج)) (سورة الحج: ٧٨)، وقال عز وجل: ((من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)) (سورة النحل: ١٠٦).

وراجع أيضاً: الكافي: ج٢ ص٢١٧ باب التقية، ووسائل الشيعة: ج١٦ ص٢١٢ ب٢٤ ح٢١٣٨٤، ومشكاة

بني أمية، ولكن هذه الحالة لم تدم، ففي آخر عهد بني أمية ضعف سلطانهم، وأخذ الشيعة يعملون بصورة أوسع، ورفع عنهم الضغط بعض الشيء.

وعند مجيء حكام بني العباس إلى السلطة سمحوا للشيعة في البداية بالعمل بمذهبهم؛ وذلك لأن بني العباس لم يصلوا إلى الحكم إلا بشعار أخذ الثأر للإمام الحسين (عليه السلام) وآل علي من بني أمية.

نهاية الحكم الأموي وبداية الحكم العباسي

ففي هذه الفترة ـ فترة انتهاء حكم بني أمية ومجيء حكم بني العباس ـ عمل الشيعة على نطاق واسع من أجل نشر التشيع وقاموا بإنشاء المدارس لتدريس العلوم الدينية بجميع أنواعها، من فقه، وأصول، وعلم كلام، وتفسير وغيرها، على منهج أهل البيت (عليهم السلام)، وقد ضمّت حلقاتها آلاف الطلبة. وكل هذا كان مقارناً لزمن الإمام الصادق (عليه السلام). ولكن ذلك لم يدم طويلاً؛ إذ أحس بنو العباس بخطر العلويين؛ لأنهم كانوا يريدون الحكم من أجل الدنيا بينما أراد العلويون ـ وعلى رأسهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ـ إقامة حكم الله على الأرض، ولم يكن يتماشى هذا مع رغبتهم الدنيوية والمادية ـ بني العباس ـ فعندها حاربوا العلويين وأشياعهم، وجميع من ينتمي إليهم بشتى الوسائل والطرق، حتى فاق ظلمهم ظلم بني أمية(١). إلى أن خفّت حدّة الظلم والمطاردة للشيعة في عهد المأمون نسبياً، حيث فرض منصب ولاية العهد على الإمام الرضا (عليه السلام)، وذلك بمؤامرة من المأمون نفسه في قصة مفصلة في محلها(٢)، ولكن لم تستمر هذه الفترة طويلاً، إذ عندما استشهد الإمام الرضا (عليه السلام) عاد الظلم والمجاهرة بالعداء لكل من ينتمي إلى آل محمد (عليهم السلام) وشيعتهم، وتجسد الظلم في زمن المتوكل العباسي بأبشع وأفظع صورة(٣)، واستمرت الحالة على هذا المنوال حتى أخذ الحكام يقتلون الشيعي ويبيحون دمه وماله وجميع ممتلكاته، وأهون فترة مرّ بها الشيعة في حكم بني العباس هي فترة تولي (المنتصر لدين الله) الحكم، واستفاد الشيعة من هذه الحرية التي كانت في زمنه فأخذوا في نشر التشيع ولكن هذا الوضع لم يدم طويلاً، فعند وفاته عاد الظلم والقتل بحق أتباع مذهب آل البيت (عليهم السلام)، وهكذا كانت الأحوال تنقلب من حال إلى حال.

الأنوار: ص٤٠ فصل ١١ في التقية، والصراط المستقيم: ج٣ ص٧١ تذنيب بحث في التقية.

١ـ حتى قال أحد الشعراء:

تالله ما فعلت أميــه فيهم***معشار ما فعلت بنو العباس

أنظر ميمية أبي فراس: ص١١٩.

٢ـ راجع بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٢٨ ب١٣ ح٣، وفيه يقول الإمام الرضا (عليه السلام)

ـ حين امتنع عن قبول الولاية من المأمون -: ».. تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة... «.

٣ـ راجع الشيعة والحاكمون: ص١٤٥-١٧٢ لمحمد جواد مغنية.

الفترة الثانية

انتقال مركز التشيع من الكوفة إلى بغداد

قلنا بأن التشيع انتشر في العراق منذ صدر الإسلام، وكان مركزه الكوفة، ولكن عندما تسلم المنصور الدوانيقي وهو الخليفة العباسي الثاني، نقل مركز خلافته من الكوفة إلى الهاشمية(١)، ومن ثم إلى بغداد. وقد صاحب هذا الانتقال انتقال الكثير من الشيعة إلى بغداد. وكان بعضهم يعمل في حكومة المنصور متخفياً بحيث لايعلمون أنه شيعي، ويبدأ بالعمل الخفي الجاد لنشر التشيع(٢)، وقد شجعهم على ذلك وجود الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في بغداد في ذلك الحين؛ ولذا أخذ التشيع ينتشر في بغداد انتشاراً واسعاً، وخصوصاً في منطقة الكرخ، رغم الشدة والمضايقات التي استخدمها المنصور مع الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وجميع أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

الفترة الثالثة

ولاية الحكام الشيعة

ولاية البويهيين

بزغ نجم آل بويه في فارس(٣) في القرن الرابع الهجري، حيث استولت الدولة البويهية بعد ذلك على مقاليد الحكم في بغداد. وبما أن الدولة كانت دولة شيعية فقد أسست المدارس الدينية، وتم فيها تدريس أغلب العلوم الدينية، فدأب العلماء الشيعة في ذلك الوقت على نشر العلوم الدينية في جميع بقاع العالم، وخصوصاً المناطق المجاورة لبغداد، مثل الحلة والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة، وغيرها من المناطق العراقية. وقد برز الكثير من علماء الشيعة إبان ذلك العصر، مثل: الشيخ المفيد(٤) والشريفين «الرضي(١) والمرتضى(٢)» والشيخ

١ـ وهي مدينة اختطها أبو العباس السفاح قرب الكوفة وشرع في عمارتها. أنظر معجم البلدان: ج١ ص٤٥٧ مادة (بغداد).

٢ـ أمثال: أبو سلمة الخلال الكوفي الذي استوزره السفاح أول ملوك بني العباس، ومحمد بن الأشعث الخزاعي الذي استوزره المنصور، وأبو عبد الله يعقوب بن داود وعلي بن يقطين الذي استوزره الرشيد، وجعفر بن الأشعث، والفضل بن سهل ذا الرياستين الذي استوزره المأمون وغيرهم إلى آخره.

٣ـ تأسست الدولة البويهية على يد علي بن بويه الملقب بعماد الدولة في شيراز في بلاد إيران عام (٣٢١هـ) ثم امتد حكمها إلى كل إيران والعراق وجزء من تركيا وغيرها من بلاد بني العباس، وكان آخر ملوك البويهيين أبو نصر الملقب بالملك الرحيم وبه انتهى حكم الدولة البويهية الشيعية سنة (٤٧٤هـ)، والذي امتد ١٥٣ سنة، نقلاً عن كتاب تجارب محمد جواد مغنية بقلمه: ص٢٥٢ بتصرف.

٤ـ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري الملقب بالشيخ المفيد، من أجل مشايخ

الطوسي(٣) (رحمهم الله)، وكان حلقات الدرس تنتقل فيما بينهم.

وبعد أيام البويهيين حدثت فتنة كبيرة بين السنة والشيعة انتقل على أثرها شيخ الطائفة الطوسي (رحمه الله) بحوزته العلمية من بغداد إلى النجف الأشرف عام ٤٤٨هـ، إذ لم تعد بغداد ترضى بمقام المرجعية الدينية فيها، وكما لم تعد صالحة أيضاً لاحتضان الحوزة العلمية بين ظهرانيها، فأضحى النجف الأشرف بعدها عاصمة ومركزاً لعلوم أهل البيت (عليهم السلام)، ومقاماً ومستقراً لكبار علماء الشيعة ومراجعهم العظام (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

المغول والتشيع

وهكذا انقلبت الأحوال من حال إلى حال، حتى مجيء هولاكو(٤) وغزوه بغداد، وإحداثه الدمار الشديد فيها،

الشيعة ورئيسهم وأستاذهم، فضله أشهر من أن يوصف، انتهت رياسة الإمامة إليه في وقته، ولد (رحمه الله) سنة (٣٣٦هـ) وتوفي (رحمه الله) (٤١٣هـ) دفن في داره ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من جانب رجلي الإمام الجواد (عليه السلام) إلى جنب قبر الشيخ الصدوق (رحمه الله)، له تصانيف عديدة منها: الرسالة المقنعة، والأركان في دعائم الدين، والإيضاح في الإمامة، والإرشاد، والإفصاح، والعيون والمحاسن. يقول عنه الشيخ الطوسي (رحمه الله): وكان يوم وفاته يوماً لم يُر أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف له ومن المؤالف.

راجع روضات الجنات: ج٦ ص١٥٣ الرقم ٥٧٦.

١ـ هو الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد المولود سنة (٣٥٩هـ) المتوفى سنة (٤٠٦هـ) جامع كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب نهج البلاغة.

٢ـ هو سيد علماء الأمة ومحيي آثار الأئمة ذو المجدين أبو القاسم علي بن الحسين ابن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) المشهور بالسيد المرتضى، وبعلم الهدى، جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، له تصانيف مشهورة منها: الشافي في الإمامة وكتاب الطيف والخيال وكتاب الغرر والدرر، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وهو أخ السيد الشريف الرضي.

ولد (رحمه الله) سنة (٣٥٥هـ) وتوفي سنة (٤٣٣هـ) ودفن إلى جوار جده أبو عبد الله الحسين (عليه السلام). وقيل أنه (رحمه الله) خلف بعد وفاته (٨٠ ألف مجلداً) من مقروآته ومصنفاته ومحفوظاته، أنظر الكنى والألقاب: ج٢ ص٤٨٢ (علم الهدى).

٣ـ هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (قده) صاحب كتاب تجريد العقائد، وكتاب التذكرة النصيرية، وكتاب تحرير أقليدس وتحرير المجسطي وشرح الإشارات والفصول النصيرية والفرائض النصيرية والاخلاق الناصرية وكثير غيرها، ولد (رحمه الله) بمشهد طوس في سنة (٥٩٧هـ)، وتوفي في سنة (٦٧٢هـ) ودفن في مقابر قريش في الكاظمية. أنظر روضات الجنات: ج٦ ص٣٠٠ باب ما أوله الميم.

٤ـ هولاكو (نحو ١٢١٧ـ١٢٦٥م) مغولي مؤسس دولة المغول الإيلخانية في إيران سنة (١٢٥١م) حفيد

إلا أن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بقي ثابتاً صامداً رغم تلك الهزاهز والابتلاءات العظيمة، وحينما استتب الأمر لهولاكو وفرض سيطرته على بغداد تنفس أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الصعداء، نتيجة لدخول بعض حكام المغول الإسلام ببركة جهود العلماء الكبار أمثال العلامة(١) وابنه(٢) (رحمهما الله) وغيرهما ـ وإعلان إتباعهم لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ومن هؤلاء الحكام (نيقولاوس بن أرغون) وسمي بمحمد خدابنده(٣)، وكذلك ابنه أبو سعيد بهادرخان، وبعضهم أسلم، ولكن لم يصرح بالتشيع، مثل غازان المسمى محمود(٤)، وهو أخو محمد خدابنده، وبين من لم يطل عهده ليعلم حاله مثل تكوادر بن هولاكو المسمى بأحمد.

الدولة الجلائرية والتشيع

جلائر: وهي سلالة مغولية أنشأها حسن بزرك على أنقاض الإيلخانية، حكمت العراق من (٧٤٠ إلى ٨١٣ هـ) عاصمتها بغداد أشهر سلاطينها أويس وابنه أحمد، حكمت هذه الدولة العراق بعد رحيل المغول، وهي دولة شيعية بحتة، ولها بصمات واضحة على التشيع، وكان زعيم هذه الدولة (حسن الجلائري) وهو من أمراء المغول وان لم يكن مغولي الأصل، وقد استمر في حكم العراق فترة من الزمن، وجاء بعده ولده وحكم العراق،

جنكيز خان، أخضع أمراء الفرس والإسماعيلية في قلعة (الموت) (١٢٥٦م)، قضى على الخلافة العباسية في بغداد (١٢٥٨م) واحتل سورية. هاجم المماليك جيشه في عين جالوت وأبادوه (١٢٦٠م). أنظر المنجد في الأعلام حرف (الهاء).

١ـ الحسن ويقال الحسين بن يوسف ابن علي بن المطهر الحلي ويعرف بالعلامة (٦٤٨هـ/٧٢٦هـ)، من أئمة الشيعة وأحد كبار العلماء نسبته إلى مدينة الحلة في العراق وفيها مولده ومسكنه ومدفنه له كتب كثيرة منها: تبصرة المتعلمين في أحكام الدين، وتهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول، والأحكام في معرفة الحلال والحرام، ومختلف الشيعة في أحكام الشريعة، وأنوار الملكوت في شرح الياقوت.

أنظر روضات الجنات: ج٢ ص٢٦٨ بالرقم (١٩٨).

٢ـ هو محمد فخر المحققين بن حسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي فقيه أصولي متكلم ولد سنة (٦٨٢ هـ) وتوفي سنة (٧٧١هـ) من آثاره: نهج المسترشد في أصول الدين، وجامع الفوائد في الفقيه، والكافية في علم الكلام، وغاية البادي في شرح المبادي وغيره.

أنظر روضات الجنات: ج٦ ص٣٣٠ بالرقم ٥٩١.

٣ـ محمد خدابنده الذي استبصر على يد العلامة الحلي (رحمه الله) في قصة مشهورة، وذلك عندما طلق هذا السلطان زوجته ثلاثاً وأجمع علماء المذاهب على وجوب المحلل، ثم جاء العلامة الحلي (رحمه الله) وبعد مباحثات مع علماء العامة وإقامة الأدلة الدامغة عليهم، حتى أسفرت تلك المباحثة عن تشيع السلطان وأكثر من معه، وقد ذكر هذه الحادثة العلامة المجلسي (رحمه الله) في (روضة المتقين). راجع إيضاح الاشتباه للعلامة الحلي: ص٤٣.

٤ـ محمود غازان (١٢٧١ ـ ١٣٠٤م) سلطان إيلخاني سنة (١٢٩٥م) فرض الإسلام ديناً للدولة شجع الأدباء، له آثار عمرانية في تبريز، خلف أخوه. راجع المنجد في الاعلام: حرف (غ).

وتعاقبت على حكم العراق مجموعة من أفراد هذه العائلة، وفي عام ٧٦٧هـ بنى أحد أولاد حسن الجلائري الحرم الحسيني القائم اليوم.

الدولة الصفوية(١) والتشيع

لقد سجل التاريخ لهذه الدولة خدمات جليلة في انتشار مذهب التشيع في العراق وإيران وجميع المناطق المجاورة، وهي دولة علوية شيعية حكمت العراق في عام (٩١٠هـ)، وأول من استولى على حكم العراق من الصفويين هو الشاه (إسماعيل الأول)، وقد دارت بينه وبين العثمانيين معارك ضارية؛ وذلك لطمع العثمانيين في السيطرة على العراق، فانتصر العثمانيون على الدولة الصفوية عام (٩٤١هـ) أيام الشاه (طهماسب الأول) ثم عاد الصفويون وحكموا العراق ثانية في عام (١٠٣٢هـ)، وكان ذلك على يد الشاه عباس الأول، ثم عاد العراق تحت السيطرة العثمانية في عام (١٠٤٥هـ) وحكم مرادخان الرابع العراق بعد الصلح الذي تم بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية، وشرط الصفويون على الدولة العثمانية بموجب هذا الصلح أن تحكم الدولة العثمانية العراق دون التعرض للشيعة والعتبات المقدسة. ولكن بعدما استقر الحكم للدولة العثمانية نكثوا عهدهم، فحاربت التشيع في جميع أرجاء العراق، وذلك بتحريض من بعض الحاقدين على مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، خاصة وان العثمانيين كانوا يتبعون سياسة طائفية شديدة التعصب لأهل السنة والجماعة.

الدولة العثمانية(٢) والتشيع

بعدما سيطرت الدولة العثمانية على مقاليد الحكم، تغير حال الشيعة في العراق عما كانوا عليه في زمن الدولة الصفوية، فلقد عاد الظلم والاضطهاد، وأصبح كل من ينتمي إلى أهل البيت (عليهم السلام) ويعرف بأنه من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) معرضاً للقتل والتشريد، وبجميع أصناف التعذيب الأخرى.

١ـ الصفويون سلالة ملكت إيران (١٥٠١ ـ ١٧٣٦م) أسس الدولة إسماعيل الأول. قهر الأق قيونلو واتخذ تبريز عاصمة وتلقب بالشاه، وأعلن التشيع مذهب الدولة، نقل العاصمة إلى قزوين (١٥٥٥م) طهماسب الأول، ثم نقل عباس الأول الكبير إلى أصفهان. انظر المنجد في الاعلام: حرف (صَ) الصفويون.

٢ـ العثمانيون سلالة السلاطين الأتراك أسسها عثمان الأول سنة (١٢٨١م) نشأت في الأناضول على أنقاض الدولة السلجوقية ومدّت سلطتها إلى البلقان والدول العربية وإفريقية. احتل محمد الفاتح القسطنطينية (١٤٥٣ م) وجعلها عاصمته وقضى على البيزنطيين. أنهى سليم الأول حكم المماليك وسيطر على سورية وفلسطين ومصر عام (١٥١٦م) وخلفه ابنه سليمان القانوني فوطد أركان دولته على البلاد العربية والإسلامية حتى إفريقية. وبلغت الدولة في عهده أوج قوتها، تحالف العثمانيون والألمان في الحرب العالمية الأولى وأدى انهزام الألمان في الحرب إلى تفكك الإمبراطورية العثمانية وإعلان الجمهورية التركية بزعامة مصطفى كمال أتاتورك سنة (١٩٢٣م). راجع المنجد في الإعلام: حرف (ع) العثمانيون.

كان المذهب الرسمي في الدولة العثمانية هو المذهب الحنفي، ولم يكتفوا في جعله فوق المذاهب بأسرها، بل عمدوا إلى ضرب المذاهب الأخرى، وخصوصاً المذهب الشيعي.

وسعوا إلى نشر المذهب الحنفي بأسلوب الترغيب والترهيب في جميع أرجاء العراق، حيث كانوا ينشرونه بصورة سرية في المناطق الجنوبية من العراق وفي العتبات المقدسة، والتي كان كل سكانها من الشيعة إلا ما ندر، كما قاموا بنشر مذهبهم وبصورة علنية في شمال العراق، وبعض المناطق التي يكثر فيها السنة.

ونتيجة لمقاومة الشيعة الشديدة، وقوة نفوذهم وتأثيرهم أُجبر بعض الأمراء الأتراك على مسالمة الشيعة، فقد أجروا بعض التعديلات والتعميرات في العتبات المقدسة، وزارها بعض ولاتهم.

والجدير بالذكر هنا أن بعض المؤرخين قال: أن الشيعة لاقوا من العرب ـ من السنة الذين كانوا تحت حكم الدولة العثمانية ـ الحاقدين على التشيع، وعلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، أكثر مما لاقوه من الحكام الأتراك أنفسهم، وقد اثبت التاريخ حينما رحل الترك عن العراق فان الأوضاع المأساوية ظلت على ما هي عليه إن لم نقل أنها تفاقمت(١).

الموصل والتشيع

توالت على إدارة الموصل إمارتان شيعيتان، إحداهما إمارة آل حمدان(٢)، وكان أميرهم أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان، والد سيف الدولة وناصر الدولة، واستمر أمراء هذه الإمارة في إدارة الموصل إلى فترة طويلة، حتى انقضت هذه الإمارة وقتل آخر أمرائها (عدة الدولة غضنفر) في عام (٣٦٩هـ).

تلت هذه الحكومة حكومة شيعية ثانية، هي إمارة آل المسيب، التي استولت على الموصل حرباً فأقرهم بها بهاء الدولة البويهي، وقد كانوا من أمراء نصيبين، واستمرت إمارتهم إلى القرن الخامس الهجري، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي الذي حارب التشيع أينما وجده، واستمر على نهجه هذا من بعده سلالته حيث ضربوا هذه الإمارة، وشنوا عليها الغارات الكثيرة، ومن ثم أعقبهم بالعداء الشديد للشيعة والتشيع السلطان العثماني سليم الثاني، الذي أذاق الشيعة في عهده أنواع البلايا والمصائب.

وسار على نهجه السلطان مراد الرابع، فقضوا على هذه الإمارة، وظل كثير من أهل الموصل على مذهبهم، ولكن على تكتم شديد خوفاً من مطاردة وقتل السلطان لهم، واليوم يعرف كثير من الموصليين آباراً في الموصل ملئت من قتلى الشيعة. وآخرين أردم عليهم البناء(٣).

١ـ وللمزيد عن تاريخ الدولة العثمانية راجع كتاب (موجز عن الدولة العثمانية) باللغة العربية، وكتاب (تلخيص تاريخ امبراطوري عثماني) لمؤلفه هامر بور كشتال يوزف، وهو باللغة الفارسية، للإمام المؤلف (قده).

٢ـ الحمدانيون: أسرة عربية، تولت الموصل والجزيرة في زمن العباسيين ثم استقلوا فبسطوا سيادتهم على شمال سورية (٣١٧ ـ ٣٩٤هـ) أسسها حمدان بن حمدون شيخ قبيلة تغلب في ماردين (٨٩٢م) وسع حدود الإمارة ابنه عبد الله وحفيده سيف الدولة أمير حلب، انقرضت هذه الإمارة بموت سعيد الدولة بن سعد الدولة بن سيف الدولة. أنظر المنجد في الأعلام: حرف (ح) الحمدانيون.

٣ـ راجع تاريخ الشيعة: ص١٠٦ الموصل وشمال العراق.

الأقاليم العراقية والتشيع

من الثابت في محله، إن أي فكرة أو عقيدة عندما ترتدي حلة الوجود، وتظهر على سطح المجتمع يبرز لها تياران: تيار مساند وتيار مضاد، ومدى نجاح أو فشل هذه الفكرة أو العقيدة يعتمد اعتماداً كبيراً على هذين التيارين. فتارة تلاحظ أن مبدءاً ينتشر انتشار واسعاً في أوساط الناس.

ولم يكن هذا حاصل إلا من قوة التيار المساند له، مع إضافة عوامل أخرى، وتارة يفشل المبدأ لقوة التيار المضاد مع إضافة عوامل أخرى، إلا أن العامل الأساسي قد يكون ذلك(١).

ولم يخرج التشيع من هذه القاعدة منذ نشأته الأولى في زمن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ـ كما ذكرنا سابقاً ـ حيث كان التيار المساند والمساعد هو الحاكم في زمن حكم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي عصر الحكومات الشيعية التي حكمت في بعض مراحل التاريخ الإسلامي ـ والتي ذكرنا بعضها ـ وهذا الأمر ساعد على انتشار التشيع وكثرة أنصاره وقوة سلطانهم، مما أدى إلى العمل الإسلامي الشيعي من خط الأئمة (عليهم السلام) وتلامذتهم؛ وذلك لما كانوا يتمتعون بشيءٍ من الحرية.

كما ظهر التيار المخالف حيثما تسلمت زمام الحكم حكومات مناهضة ومعادية لمذهب آل البيت (عليهم السلام)، ففي هذه الحالة كان التشيع ينحسر، ويُقتَّل الكثير من أنصاره وأتباعه، ويحدّ من انتشاره؛ وذلك لقوة التيار المضاد.

كذلك ظهر هذان التياران على الشيعة في العراق على وجه الخصوص، فحينما كانت تتسلم الحكم حكومات شيعية، أو حكومات لا تحمل العداء لهذا المذهب الحق، كان التشيع يتقدم وينتشر في العراق، ويمتد سلطانه ويترسخ، خاصة وأن التشيع يحمل من الأحكام والآراء المنطقية القوية الموافقة للفطرة، مما يفحم الخصوم ويعجزون عن مواجهته. أما إذا كان العكس، كما إذا كان الحكم قد تسلّمه المعادون ـ لأهل البيت ومن شايعهم ـ فينحسر الانتشار، وفي بعض الأحيان يتوقف.

فخلاصة الكلام هو أن التشيع في الأقاليم العراقية قد تراوح معدل انتشاره من حين إلى آخر، والأرجحية في أكثر العصور تبدو للأكثرية المتمثلة بمذهب أهل البيت (عليهم السلام).

الشيعة في العراق اليوم

لقد كان العراق يعرف بأنه بلد شيعي، وكذلك اليوم هو بلد شيعي في الوقت الحاضر. وإليك التقسيم الآتي على حسب كثرة الشيعة في المحافظات ـ كما يطلق عليها اليوم ـ وهو كما يلي:

أولاً: مناطق العتبات المقدسة:

١: النجف الأشرف.

٢: كربلاء المقدسة.

١ـ وقد ذكر علماء الاجتماع أن المؤثرات في الإنسان عشرة منها: الأجواء الاجتماعية، والأجواء الطبيعية راجع الفقه المجتمع لسماحة الإمام المؤلف (قدس سره).

٣: الكاظمية.

٤: سامراء.

إن الأغلبية السكانية لهذه المناطق هم من الشيعة، وإذا وجد فيها البعض من المذاهب الأخرى أو الأديان، فهو نادر أو قليل جداً خاصة في كربلاء والنجف.

ثانياً: المناطق الجنوبية:

١: البصرة.

٢: العمارة.

٣: الناصرية.

فهذه المناطق كسابقاتها من مناطق العتبات المقدسة نسبة الشيعة فيها حوالي ٩٩. ٩%.

ثالثاً: بغداد، والتي تعتبر عاصمة الدولة العراقية في الوقت الحاضر، والأغلبية فيها للمذهب الشيعي، ويشكل الشيعة فيها حوالي ٧٥% تقريباً.

وفي بعض المناطق فيها يشكل الشيعة ٩٩. ٩% من سكانها مثل: مدينة الكاظمية والثورة والكرخ والبياع وغيرها..

رابعاً: بعض المحافظات الوسطى، مثل: الكوت والحلة والديوانية يمثل الشيعة فيها ٩٩% من نسبة السكان تقريباً، والبعض الآخر مثل السماوة، يشكل الشيعة ٩٠% أما محافظة ديالى فنسبة الشيعة فيها ٨٥%، أما الرمادي وتكريت فالأغلبية فيها سنية، ويوجد الشيعة أيضاً في هاتين المحافظتين بأعداد واضحة.

خامساً: المحافظات الشمالية، أربيل والسليمانية ودهوك والأغلبية فيها للمذهب السني كما ينقل، وأيضاً يوجد الشيعة فيها بأعداد كبيرة.

أما في كركوك والموصل فالشيعة فيها حوالي ٤٠% تقريباً.

وهذه الأرقام والنسب التي ذكرتها هي للدلالة وكلها أرقام تقريبية، أما النسبة المتفق عليها والتي هي القدر المتيقن فهي أن ٨٥% من سكان العراق من أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و١٢% بقية المذاهب السنية الأربعة، و٣% بقية الطوائف والأديان الأخرى. ولكن ورغم هذه النسبة، وما يمثله الشيعة من أكثرية في سكان العراق، إلا أنهم خارج المناصب العليا في الدولة، وأصبحت المناصب والحقائب الإدارية وزمام القوة هي بيد الأقلية في بالبلاد، رغم أن جميع القوانين والأنظمة الإلهية بل حتى الوضعية منها تعطي الحق لمن يمثل الأكثرية في إدارة شؤون البلاد.

نظرة إلى واقع العراق المعاصر

إن العراق عاش تجربتين قاسيتين بعد نيله الاستقلال، والتجربتان هما:

أولاً: الحكم الملكي، الذي بدأ بالملك فيصل الأول(١)، الذي عملت بريطانيا على رسم صورة حكمه وتنصيبه،

١ـ فيصل الأول (١٨٨٣ ـ ١٩٣٣هـ): ولد في الطائف، ابن الشريف حسين، ثار على العثمانيين عام ١٩١٦م، وقاد الجيش العربي في فلسطين، نودي به ملكاً على سورية عام (١٩٢٠م) وانسحب بعد دخول الجيش

لإخماد نار الثورة العراقية الكبرى عام (١٩٢٠م) التي قادها المرجع الديني الميرزا محمد تقي الشيرازي (رحمه الله)(١)، وكانت تجربة فيصل فاشلة للغاية، والتاريخ يشهد بذلك.

ثانياً: الحكم العسكري (الجمهوري): المتمثل بـ(عبد الكريم قاسم)(٢) الذي أطاح بالحكم الملكي الذي كان نوري السعيد(٣) أحد أكبر رموزه، و (عبد السلام عارف)(١) ثم من بعده (عبد الرحمن عارف)(٢).. إلى حكم

الفرنسي. ملك العراق عام (١٩٢١م).

١ـ هو الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية، ولد بشيراز سنة (١٢٥٦هـ) ونشأ في الحائر الشريف، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي (رحمه الله) حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل تعين للخلافة بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى الخطيرة التي أقامت العراق وأقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس. فهو (رحمه الله) فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده وكان أفتى من قبل بحرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرون إلا عن رأيه وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء مرات عدة. توفي (رحمه الله) في الثالث عشر من ذي الحجة عام (١٣٣٨هـ) ودفن في الصحن الشريف ومقبرته فيه مشهورة. راجع طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر: ج١ ص٢٦١ الرقم ٥٦١.

٢ـ عبد الكريم قاسم محمد بكر الزبيدي من مواليد (١٩١٤م) بغداد، التحق بالكلية العسكرية في عام (١٩٣٢م). شارك في حرب فلسطين عام (١٩٤٨م) في جبهة الأردن، انتمى لتنظيم الضباط الأحرار عام (١٩٥٦م). قام بانقلاب عسكري عام (١٣٧٧ه ـ ١٩٥٨م)، أطاح بالحكم الملكي، قتل أغلب أفراد العائلة الملكية بما فيهم الملك فيصل الثاني، أعلن الحكم الجمهوري. ألغى المظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية ما عدا الحزب الشيوعي الذي أضحى الحزب المحبب للسلطة، وألغى الحكم المدني. استمر حكمه قرابة أربع سنوات ونصف تقريباً. تعرض في عام (١٩٦٣م) لانقلاب عسكري دبره عبد السلام عارف مع مجموعة من الضبّاط البعثيين أمثال أحمد حسن البكر وعبد الكريم فرحان وصالح مهدي عمّاش وغيرهم، أعدم رميا بالرصاص مع بعض رفاقه في دار الإذاعة في التاسع من شباط ١٩٦٣م.

٣ـ نوري سعيد صالح السعيد من مواليد بغداد عام (١٣٠٦ه /١٨٨٨م)، أصبح رئيساً للوزراء بين عام (١٣٤٩/١٣٧٧ه ـ ١٩٣٠/١٩٥٨م) لأربع عشرة دورة، ووزيراً للدفاع في خمس عشرة دورة، ووزيراً للخارجية في إحدى عشرة دورة، ووزيراً للداخلية في دورتين. أحد أكبر عملاء بريطانيا في العالم العربي، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرف البريطانيين، وكانت سياسته مبنية على نظرية (خذ وطالب) وعلى التحالف مع الإنجليز، جعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية للاستعمار، وجعل العراق سوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية ومصدراً لمواده الخام. أسس في الخمسينيات حزب الاتحاد الدستوري لدعم وزارته، وكان حزبه وحزب صالح جبر (الأمة الاشتراكي) لا يختلفان من الناحية التنظيمية والفكرية عن بعضهما، فالاثنان مواليان للإنجليز وأغلب أعضائهما من القطاع الموالي للإنجليز، وكانا يتنافسان أحياناً ويختلفان في

(احمد حسن البكر)(٣)

المشؤوم ثم حكم (صدام)(٤) - وهو الأشأم من بينهم -، والمتتبع أحوال هؤلاء الحكام والمسؤولين والأوضاع

بعض المسائل الداخلية. انتحر بإطلاق النار على نفسه عام (١٣٧٧ه /١٩٥٨م) وقيل قتل، من مؤلفاته: استقلال العرب ووحدتهم.

١- عبد السلام محمد عارف، من مواليد عام (١٣٣٩ه - ١٩٢١م) في مدينة الرمادي، كان من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار، اشترك مع عبد الكريم قاسم عام (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م) في الإطاحة بالنظام الملكي، وبعد اختلافه مع قاسم أقصي من مناصبه، عيّن سفيراً في العاصمة الألمانية، ألقي القبض عليه وأودع السجن وصدر حكم الإعدام عليه وعفي عنه بعد أن قضى أكثر من سنتين في السجن. أصبح رئيساً للجمهورية بعد الإطاحة بنظام قاسم في (١٤ رمضان ١٣٨٢ه - ٨ شباط عام ١٩٦٣م) ومنح نفسه رتبة مشير.

اتّسم حكمه: بالكبت والإرهاب والعنصرية وأهتم بتعيين الأقارب وأبناء العشيرة والبلدة في إسناد المناصب بغض النظر عن المؤهلات والقابليات والكفاءات. اشتهر بالتعصب المذهبي، يقول الدكتور سعيد السامرائي عن عبد السلام ما نصه: كان هذا الرجل لا يحتمل رؤية الشيعي، حتى أنه قطع زيارته لشركة التأمين الوطنية يوماً لأنه وجد أن مدراءها ورؤساء أقسامها وشعبها هم إما من الشيعة أو المسيحيين، والذين تبوءوا هذه المناصب بكفاءتهم في هذه المهنة التي لا تحتمل وضع غير الكفء فيها. إنقلب على رفاقه البعثيين في عام (١٩٦٣م) وأقصاهم من وزارته وأصدر كتاباً ضدّهم سمّاه المنحرفون، وصم البعثيين بكلّ قبيح من قبيل الشذوذ الجنسي والسرقة وما إلى ذلك.

قتل مع عددٍ من الوزراء في عام (١٣٨٥ه / ١٩٦٦م) إثر سقوط طائرته قرب البصرة، ويرى البعض أنّ موته كان عملية مدبّرة نتيجة وضع قنبلة في الطائرة.

٢- عبد الرحمن محمد عارف، ولد عام (١٩١٦م)، انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار. اصبح رئيسا للجمهورية عام (١٩٦٦م) بعد مقتل أخيه عبد السلام. اتّسم حكمه بالتدهور الاقتصادي والمعاشي وبالتمييز الطائفي والعنصرية والقبيلية وكان يتأثر بالمحيطين به ويثق بهم، ويتبنى عادة رأي آخر من يقابله.

نحي عن السلطة بعدما أوعزت المخابرات الأمريكية والبريطانية إلى عبد الرحمن النايف وإبراهيم الداود وأحمد حسن البكر بتغيير السلطة في العراق إثر انقلاب عسكري في ١٧ تموز عام ١٩٦٨م ونفي إلى تركيا.

٣- أحمد حسن البكر، من مواليد (١٣٣٣ه /١٩١٤م) في تكريت، تقلّد منصب رئاسة الوزراء في حكومة عبد السلام عارف، ثمّ منصب رئيس الجمهورية في العشرين من ربيع الثاني (١٣٨٨ه/١٧ تموز عام ١٩٦٨م) إثر انقلاب دبره على عبد الرحمن عارف، ومنح نفسه رتبة مهيب - مشير - بعد الانقلاب، منح أقرباءه وأصهاره وأبناء عشيرته وبلدته رتباً عالية دون استحقاق. تحكمت الطائفية والعصبية في زمانه وتدهورت الزراعة وتردّت الصناعة وملئت السجون بالمجاهدين والأحرار. عرف بلؤمه وغدره حتى بأصدقائه وكان همه تحقيق هدفه بصرف النظر عن الوسيلة، نحي عن الحكم إثر انقلاب دبره عليه زميله في الإجرام صدام التكريتي بتاريخ (١٦ تمّوز عام ١٩٧٩م) بعد أن حكم العراق ١١ عاماً. قتله صدام بحقنة ترفع نسبة السكر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش، وذلك عام ١٩٨٢م.

٤- صدام التكريتي، الطاغوت الذي صاغه الغرب وفق متطلبات المنطقة وظروفها السياسية، وحافظ على أمنه

التي كانت في عهودهم، يدرك جيداً مدى فشل هذه الحكومات. ولم يكن هذه الفشل إلا تخطيطاً من جهة الاستعمار فلم يكن باللاشعور بل كان مدروساً ومخططاً له لتأخير المسلمين.

وكان تخلي بعض الناس عن مسؤولياتهم في الماضي، وتخلي بعض آخر عن حقوقه، وإهمال الجانب السياسي مضافاً إلى عوامل أخرى اجتمعت جميعها؛ لتأتي بصدام على رأس حكومة العراق، ولو تكررت هذه الأمور مجدداً، فلعلها ستأتي بشخص هو أسوأ من صدام.

لا شك أن نظام العراق سيتبدل عاجلاً أو آجلاً ـ كما هي سنة الحياة ـ كما لا شبهة أن العراق سيدخل مرحلة جديدة من الحكم، ولكن الكلام في أن الغربيين يعملون جاهدين على أن تبقى حكومة العراق بيد غير الشيعة، لتبقى مشاكل العراق وتستمر أزماته السياسية.

إن الشيعة في العراق يمثلون الأكثرية من الشعب؛ فحسب بعض الإحصاءات التي أشرنا إليها من قبل أنهم يشكون حوالي ٨٥% من نفوس الشعب العراقي، وحسب قانون الشرع والعقل، بل وحتى ما يسمى بالقوانين الديمقراطية، فان حق الحكم يعطى للأكثرية، مع حفظ حق الأقلية أيضاً، إلا أن هذه المعادلة لم توجد في العراق، ولا تريدها بعد الدول الغربية، لمصالح وأغراض خاصة، لذا ينبغي لنا أن نلتفت إلى هذه القضية، ونعي الخطط المرسومة من قبل الغرب لندفعها، ونعمل جاهدين لإيجاد حكومة الأكثرية.

من يتخذ القرار؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم.. »(١).

وقال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم وإذا ضرب على رجل منهم

الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات، ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت تبعد مائة ميل شمال بغداد، والده كان يعمل فراشاً في السفارة البريطانية، كانت أمه صبيحة (صبحة) طلفاح تستلم مخصّصات تقاعد زوجها من السفارة، تزوجت صبيحة من أربعة أزواج ثالثهم إبراهيم الحسن ورابعهم زبن الحسن، وكان صدام يتنقل معها من بيت زوج إلى زوج آخر ـ هذا عدا علاقاتها المشبوهة المعروفة لكل من ابتلى بمعرفتها ـ تنامت لديه روح الانتقام، ابتدأ عمليات القتل وهو في السابعة عشر، اشترك مع بعض عناصر البعث في اغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر، اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م). وفي عام (١٩٧٠م) أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية في حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد أن أقصى البكر عن الحكم ومنح نفسه مهيب ركن، هاجم إيران (١٩٨٠م) فاندلعت حرب الخليج الأولى واستمرت ثمان سنوات، احتل الكويت (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية واخرج الجيش العراقي منها، وقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بتدمير العراق ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد، انتفض الشعب فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقي بوحشية لا مثيل لها، فقد قدرت أعداد من قتلوا وأعدموا واختفوا ما يزيد على ٣٠٠ ألف عراقي.

١ـ الكافي: ج٢ ص١٦٤ باب الاهتمام بأمور المسلمين ح٥.

عرقٌ سهر له الآخرون»(١).

هناك قسم من أفراد المجتمع لا يشغل تفكيرهم: من الذي سيأتي بعد صدام؟، فهم يفضلون الوقوف على التل دوماً، وينتظرون حتى تأتيهم النتائج جاهزة، والغرب يستغل الفرصة في مثل هذا الوضع ـ الذي يتخلى فيه جزء من الأمة عن واجبه ـ ليعمل على إزالة صدام مثلاً، ويأت بشخص آخر عن طريق الانقلاب العسكري وما أشبه ـ وهذا أمر سيئ للغاية ـ هنا نتساءل: لماذا لا نُقدّر مستقبلنا بأنفسنا؟ وهذا السؤال موجه لكل فرد من أفراد الأمة، حيث أنهم كلهم يشتركون في صنع المستقبل.

الحكومة المستقبلية

إن الواجب على كل فرد من أبناء الشعب العراقي أن يساهم ـ بما أوتي من قوة ـ في تشكيل حكومة العراق المستقبلية، عن طريق الانتخابات الحرة النزيهة، التي تجري على مستوى كل الشعب، واختيار آراء الأكثرية مع مراعاة النسب، فليس من الحق والإنصاف أن يحكم أكثرية العراق ـ وهم الشيعة ـ أشخاص من الأقلية. كما ليس صحيحاً أن تقع الحكومة بيد فريق معين من الأشخاص بلا انتخابات أو تصويت أو شورى.

وهذا الكلام لا يعبر عن الطائفية، بل إن هؤلاء الأقلية هم أخوة لنا، ولكن لا ينبغي لهذه الأخوة أن تضيع حق الشيعة الأكثرية في العراق، بل الأجدر بهذه الأخوة أن تصلح ما قطعته من جسور وروابط اجتماعية وإسلامية بين الأخوة المسلمين، وأن يكونوا مع اخوتهم الشيعة يداً واحدة لقطع أيادي المستعمرين الطامعين بخيرات العراق وبلاد المسلمين.

ولو اعترض أحد على كون الحكومة المستقبلية في العراق شيعية، فالاعتراض الذي هو عند الشيعة أقوى، وهو: لماذا تحكم الأقلية الأكثرية وتتسلط عليهم، ولماذا يدّعون الوحدة ويحرمون الأكثرية من حقوقهم؟!

إن هذا الأمر ليس مقبولاً، لا في قوانين عالم اليوم، ولا في قوانين الشرع الإسلامي، بل يرفضه حتى القانون الغربي، وذلك بأن تأتي أقلية تشكل ١٢% من مجموع السكان، وتتحكم بأمور الـ٨٥% الباقية، تحت حجج وذرائع واهية، ولا يكون لهم حول ولا قوة.

واليوم نرى، أن الحكام البعثيين كيف يتعاملون مع الأكثرية الشيعية معاملة الغدر والتنكيل والمكر والخديعة. وفي المقابل هناك من الشيعة أناس معتدلون صدورهم رحبة إلى أبعد حد، حتى أن أولئك البعثيين المخادعين يصعدون على أكتاف الشيعة بحجة أنهم أخوة للشيعة في الدين، ولم يجن الشيعة من وراء ذلك غير المعاملة السيئة والسب والشتم والكتابة ضدهم، فبمجرد أن يصل أولئك إلى الحكم لا يكون حظ الشيعة إلا السجن والظلم والاضطهاد بلا سبب يذكر.

مع الأمل وبعيدا عن اليأس

قال تعالى: ((ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا الكافرون))(٢).

١ـ الكافي: ج٢ ص١٦٥ باب أخوة المؤمنون بعضهم لبعض ح١.

٢ـ سورة يوسف: ٨٧.

نعم، يجب أن نشرع بالعمل الجاد، بروح ملؤها الأمل مبتعدين عن اليأس. هذا أولاً.

وثانياً: ان ينتشر العلماء والمبلغين على كل مناطق العراق، ليعملوا على هداية الشعب وتعريفهم بالإسلام والتشيع، وبالأخص الشباب، لأنهم يمثلون الطاقة النشطة، وبذلك نقطع الطريق على الأفكار المنحرفة العلمانية وغيرها، مثل الشيوعية، والقومية، والبعثية.

إذن فعلنيا ـ إذا أردنا أن لا تتكرر المحنة التي وقع فيها العراق اليوم ـ أن نعرّف المجتمع والأمة المفاهيم الدينية الصحيحة، وأن ننشر أهداف الإسلام الصحيح والحقيقي بين صفوفها؛ لكي يعمل الجميع من أجل تحقيق هذه الأهداف في سبيل نشر حكومة الحق المتمثلة بالإسلام.

ثالثاً: تنظيم وتربية الشباب وبث روح الوعي الإسلامي فيهم وتعبئتهم بالأفكار الإسلامية وتسليحهم بها، عندها لا يبقى هناك مجال لدخول الأفكار الشيوعية ولا القومية ولا البعثية إلى صفوفهم(١) لأنهم إنما أخذوا هذه الأفكار للفراغ الذهني الذي كان عندهم، فإذا امتلأ هذا الفراغ بالمفاهيم الصحيحة لم يكن هناك وجه للخوف آنذاك من أن يضفي الدين والثقافة الإسلامية طابعها العام على شكل الحكومة، وكذلك على الأمة الإسلامية التي تعيش تحت ظل الدولة الإسلامية.

صورة الحكومة الإسلامية

أما حول شكل الحكومات الإسلامية في العراق فنوجزها باختصار كالآتي:

أولاً: إن الدين العام للأمة هو الإسلام.

ثانياً: أكثرية أفراد الحكومة من الشيعة تباعاً للنسبة، بشرط الكفاءة واللياقة بالمنصب.

ثالثاً: إعطاء الأقليات الأخرى حقوقهم، وعدم تجاهلهم بحسب نسبتهم، مع توفر الكفاءة وغيرها من الشروط اللازمة لذلك.

وبهذا سوف تسود في الأمة الأفكار الإسلامية التي جاء بها الإسلام، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.. والنور الذي تعيش وسطه الأمة سوف يتمثل في اقترابها من الله عز وجل، وتقدمها العلمي الذي يخدمها كثيراً في مسارها التاريخي.

«اللّهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة».

من هدي القرآن الحكيم

١- إن إنكلترا وبغض النظر عن موقعها الجغرافي تعتبر قلب القارة الأوربية لمكانتها السياسية والتاريخية التي تقتضي الاحتكاك الكثير والمباشر مع البلدان الأخرى، ليس فيها أكثر من (١٦٠٠٠) شيوعي، مع ما هناك من حرية نسبية، والسبب هو أنها تؤكد على إرسال شبابها فرداً فرداً إلى الكنيسة، وتربطهم بها، وتقوي أساس التدين عندهم، ليس حباً في الدين، وإنما جعل الفكرة الدينية عند الأفراد يكون حاجزاً عن دخول الأفكار الإلحادية الأخرى مثل الشيوعية.

الشيعة

قال تعالى: ((وإنّ من شيعته لابراهيم، إذ جاء ربّه بقلبٍ سليمٍ))(١).

وقال عز وجل: ((ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجُلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدُوّه فاستغاثهُ الّذي من شيعته على الّذي من عدُوّه فوكزهُ مُوسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشّيطان إنّهُ عدُوّ مُضلّ مُبين))(٢).

وقال سبحانه: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون))(٣).

الحكومة العادلة

قال جل وعلا: ((إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاس بما أراك الله))(٤).

وقال تعالى: ((وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله))(٥).

وقال سبحانه: ((إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به إنّ الله كان سميعا بصيرا))(٦).

وقال عز وجل: ((فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبّ المقسطين))(٧).

من واجبات المسلم

١. رفض الحكومات الجائرة

قال سبحانه: ((ولقد بعثنا في كلّ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت))(٨).

وقال عز وجل: ((الّذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والّذين كفروا يقاتلون في سبيل الطّاغوت فقاتلوا أولياء

١ـ سور الصافات: ٨٣ـ٨٤.

٢ـ سورة القصص: ١٥.

٣ـ سورة الحجر: ١٠.

٤ـ سورة النساء: ١٠٥.

٥ـ سورة المائدة: ٤٩.

٦ـ سورة النساء: ٨٥.

٧ـ سورة المائدة: ٤٢.

٨ـ سورة النحل: ٣٦.

الشّيطان إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفاً))(١).

وقال تعالى: ((قد تبيّن الرّشد من الغيّ فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميعٌ عليمٌ، الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور والّذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون))(٢).

٢. تحمل المسؤولية والاهتمام بها

وقال جل وعلا: ((لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ))(٣).

وقال عز وجل: ((طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى))(٤).

وقال سبحانه: ((احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون، من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم، وقفوهم إنّهم مسئولون، ما لكم لا تناصرون))(٥).

وقال تعالى: ((وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا))(٦).

وقال عز وجل: ((فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين))(٧).

نشر الفكر الإسلامي

قال تعالى: ((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظّلمات إلى النّور))(٨).

وقال سبحانه: ((وما أرسلناك إلا كافّةً للنّاس بشيراً ونذيراً))(٩).

وقال عز وجل: ((رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّناتٍ ليخرج الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات من الظّلمات إلى النّور))(١٠).

وقال جل وعلا: ((قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور))(١١).

١ـ سورة النساء: ٧٦.

٢ـ سور البقرة: ٢٥٦-٢٥٧.

٣ـ سورة التوبة: ١٢٨.

٤ـ سورة طه: ١-٢.

٥ـ سورة الصافات: ٢٢-٢٥.

٦ـ سورة الإسراء: ٣٤.

٧ـ سورة الأعراف: ٦.

٨ـ سورة إبراهيم: ٥.

٩ـ سورة سبأ: ٢٨.

١٠ـ سورة الطلاق: ١١.

١١ـ سورة المائدة: ١٥-١٦.

وقال سبحانه: ((إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون))(١).

من هدي السنة المطهرة

من هم الشيعة

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «.. ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله»(٢).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «شيعتنا هم العارفون بالله والعاملون بأمر الله»(٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن شيعتنا من شيعنا وتبعنا في أعمالنا»(٤).

وقال الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس، وعينان في القلب، ألا والخلائق كلهم كذلك ألا أن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم»(٥).

قال أبو عبد اللّه (عليه السلام): «شيعتنا الرّحماء بينهم، الّذين إذا خلوا ذكروا اللّه، إنّ ذكرنا من ذكر اللّه، إنّا إذا ذكرنا ذكر اللّه وإذا ذكر عدوّنا ذكر الشّيطان»(٦).

وقال (عليه السلام): «تزاوروا فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا وأحاديثنا تعطّف بعضكم على بعضٍ، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيمٌ»(٧).

وعنه (عليه السلام) قال: «شيعتنا أهل الهدى وأهل التّقى وأهل الخير وأهل الإيمان وأهل الفتح والظّفر»(٨).

وقال (عليه السلام): «إيّاك والسّفلة فإنّما شيعة علي من عفّ بطنه وفرجه واشتدّ جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفرٍ»(٩).

وقال أبو جعفرٍ (عليه السلام): «يا معشر شيعتنا، اسمعوا وافهموا ـ إلى أن قال ـ واجتمعوا على أموركم ولا تدخلوا غشّاً ولا خيانةً على أدٍ ـ إلى أن قال ـ ولا عملكم لغير ربّكم ولا إيمانكم وقصدكم لغير نبيّكم»(١٠).

١ـ سورة البقرة: ١٥٩.

٢ـ الكافي: ج٢ ص٧٤ باب الطاعة والتقوى ح٣.

٣ـ بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢٨ ب١٥ ح٩٦.

٤ـ تفسير الإمام: ص٣٠٧ بيان معنى الشيعة ح١٥٠.

٥ـ الكافي: ج٨ ص٢١٤ حديث الصيحة ح٢٦٠.

٦ـ الكافي: ج٢ ص١٨٦ باب تذاكر الأخوان ح١.

٧ـ الكافي: ج٢ ص١٨٦ باب تذاكر الأخوان ح٢.

٨ـ بحار الأنوار: ج٦٥ ص١٨٦ ب١٩ ح٤١.

٩ـ الكافي: ج٢ ص٢٣٣ باب المؤمن وعلاماته ح٩.

١٠ـ مستدرك الوسائل: ج١ ص١١٣ ب١٢ ح١٢٨.

ضرورة العمل

قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «العمل العمل ثم النهاية النهاية، والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر، والورع الورع، إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم»(١).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «قال الإمام الباقر (عليه السلام): وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»(٢).

وقال أبو جعفر لخيثمة: «أبلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عند الله إلا بالعمل»(٣).

عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الإيمان؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، قال: قلت: أليس هذا عمل؟، قال: «بلى» قلت: فالعمل من الإيمان؟ قال: لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل والعمل منه»(٤).

وقال أبو عبد اللّه (عليه السلام): «العلم مقرونٌ إلى العمل فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»(٥).

وقال (عليه السلام): «إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصّفا»(٦).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك المتمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بلسانه ويده، فذلك مضيع أشرف الخصلتين من الثلاث ومتمسك بواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك ميت الأحياء»(٧).

المسؤولية وتعظيمها

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي، ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه»(٨).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «والله لو أعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلاكها على أن أعصي

١ـ نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦ من خطبة له (عليه السلام) وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهي عن البدعة.

٢ـ الكافي: ج٢ ص٧٥ باب الطاعة والتقوى ح٣.

٣ـ وسائل الشيعة: ج١ ص٩٣ ب٢٠ ح٢١٩.

٤ـ الكافي: ج٢ ص٣٨ باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها ح٦.

٥ـ بحار الأنوار: ج٢ ص٤٠ ب٩ ح٧١.

٦ـ الكافي: ج١ ص٤٤ باب استعمال العلم ح٣.

٧ـ غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣٢ الفصل٢ ح٧٦٥١.

٨ـ المناقب: ج١ ص٥٨ فصل في استظهاره (عليه السلام) بأبي طالب.

الله في نملة أسلبها جلب(١) شعيرة ما فعلته»(٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في الدعاء بعد صلاة يوم الغدير: «يا صادق الوعد يا من لا يخلف الميعاد يا من هو كل يوم في شأن، ان أنعمت علينا بموالاة أوليائك المسؤول عنها عبادك فانك قلت: وقولك الحق ((ثم لتسألنّ يومئذٍ عن النّعيم)).. »(٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه فاني مسؤول وانكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ الرسالة وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي»(٤).

خير الملوك

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «خير الملوك من أمات الجور وأحيا العدل»(٥).

واجب الملوك

وقال (عليه السلام): «ذد عن شرائع الدين وحط ثغور المسلمين وأحرز دينك وأمانتك بإنصافك من نفسك والعمل بالعدل في رعيتك»(٦).

من هو الحاكم؟

وقال (عليه السلام): «إن السلطان لأمين الله في الأرض ومقيم العدل في البلاد والعباد ووزعته في الأرض»(٧).

المال ليس للحكام

وقال (عليه السلام): «إن هذا المال ليس لي ولك وإنما هو للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم شركتهم فيه، وإلا فجنا أيديهم لا يكون لغير أفواههم»(٨).

١ـ جلب الشعيرة ـ بضم الجيم ـ: قشرتها، وأصل الجلب غطاء الرحل فتجوّز في إطلاقه على غطاء الحبة.

٢ـ نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٤ من كلام له (عليه السلام) يتبرأ من الظلم.

٣ـ تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٤٠٣ ح٢٦.

٤ـ الكافي: ج٢ ص٦٠٦ باب فضل حمل القرآن ح٩.

٥ـ غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ الفصل٣ ح٧٨٠١.

٦ـ غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ الفصل٣ ح٧٨٠٢.

٧ـ غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ الفصل٣ ح٧٧٩٧.

٨ـ غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ الفصل٣ ح٧٧٩٨.